

مراجعات

أبو سلمى ، من فلسطين ريشتي (دار الآداب ، بيروت ، ١٩٧١)

« مقدمتين » كتبنا لمجموعته هذه ، الأولى للشاعر الكبير « بدوي الجبل » ، والثانية لشاعر المقاومة « محمود درويش » . يرى فيها الأول ان حزنها على فلسطين حزن هادئ وجبج ، « انه حزن الثاقلات لا حزن النائحات » ، والكلمة الصغيرة هذه تقليد أدبي ، لا تقييم أدبي . في حين كانت كلمة « محمود درويش » ، الغنية بجمالها وعمقها ، هي الأخرى ليست تقييما ، ولكنها شهادة . تقول لأبي سلمى : « انت الجذع الذي نبتت عليه أغانينا .. أفرح بك يا قطعة من وطن ترحل وتحوم على العرش المحرم .. نحن امتدادك وامتداد أخويك اللذين ذهبا - إبراهيم وعبدالرحيم محمود الذي قاتل بالكلمة والجسد .. اننا ابناؤكم .. » لقد كنت شاعر المقاومة قبل اكتشاف النقاد لهذا التعبير ، وقبل تحوله الى تعبير شائع ، يحدثنا آباؤنا عن ثوار فلسطين الذين كانوا يحملون سلاحين : البندقية والقصيدة . وكانت القصيدة لك . من ينسى غارتك الشجاعة على عروش الملوك ، يوم كان الشعر ندبيا للملوك ؟ من ينسى أغانيك ووقفاتك اليسارية عندما كانت اليسارية مغامرة توصل الى المشائق ، وتحرم الناس من رحمة الله؟ يسونك الشاعر المرشد ، وأسبك العاشق المرشد ، العشق أولا ، والشعر ثانيا . ممن لا يعشق لا يحسن الغناء ، ومن لا يعشق لا يحسن القتال . الحنين قد يؤدي الى التراخي ، ولكن حنينك ليس سلبيا ، ليس انهزاميا ، وليس تسلية جادة . انه حنين فعال : حنين المواطن وحنين القاتل وحنين العائد .

لعل أول سمة تواجهنا في شعر « أبي سلمى » الأخير ، بعد ان نستقني قضيته الأساسية فلسطين الذي يدور عليها دون كلال - هي ، عشق الأرض . ولكن هذا العشق يختلف عن ذلك العشق الذي تعرفنا عليه عند محمود درويش وجيله من شعراء

شعر أبي سلمى شعر حزين ، أولا ، وشعر موجه ، نثيا . موجه توجيهها تلقائيا - كما هي عسادة الشعر الوطني « في كل مكان - يغني الأرض ويشيد بها ، ويغني الأبطال ، ويشيد بهم . ويتجه بيت الحق كما يراه ، وحيث العدالة ، كما يراها . هو شعر فيه هجاء المرارة ، لا هجاء الطبيعة السليطة . ولقد هيأت ظروف الأمة التي ارتبط بها الشاعر ارتباطا واضحا - لهذا اللون من الشعر الهجومي ، لا عند الشاعر فحسب ، بل لدى الجيل المعاصر له جميعه .

أبو سلمى ، يواجه السلطة ، ضد السلطة حيث تكون ، ويأخذ مكانه بين الشعب حيث يكون لواجه السلطة . بهذه البساطة التي ألفناها عادة في شعر الوطنيات ، والذي ارتفع ، شأنه شأن الهاجس الوطني في بدايات النهضة العربية ، ومرحلة الاستقلال . وسيكون أبو سلمى بهذا ، البقية الباقية ، من هذا الضرب الحماسي التقليدي المشرف ، من الشعر الوطني . لا شك انه كان لأبي سلمى مجد ، فيها يتصل بالمسألة الفلسطينية ، والمسألة القومية العربية .

بالقدر الذي تغنى بمجد الأرض ، تغنى فيه بمجد العربية ، وبالقدر الذي أدان فيه الملوئين بالسكينة ، أدان أيضا دعاة التجزئة والانفصال ، ورجال القوة من العسكر ، ولكن الى جانب هذا ، هل كان لأبي سلمى الوعي الاجتماعي ، الذي يواكب مواكبة ناعلة ، الوعي الوطني ، كما كان للشاعر محمد مهدي الجواهري على سبيل المثال؟ ببساطة نستطيع ان نقول : لا . فلابي سلمى تلقائية « الشاعر الوطني » ، فحسب ، لا رؤية ووعي « الشاعر الاجتماعي » ، ولقد وضع ذلك في مجموعته الأخيرة التي صدرت من دار الآداب ، بعنوان : « من فلسطين ريشتي » .

لتحاول في البدء ان نتعرف على أبي سلمى عبر